البحر المتوسط والعلاقات الثنائية بين فرنسا وطرابلس الغرب خلال عهد يوسف باشا القرمانلي (1795-1832)

د . هناء بلجرد(*)

أستاذة الدراسات العربية بجامعة رين 2 (فرنسا)

Abstract:

In the XVIIth century, the Mediterranean Sea of the North Africa (Algeria, Tunisia and the Western Tripoli (*Ṭarablus Al-Ġarb*) were dominated by Ottoman Empire. In fact, France fought to control the Mediterranean sea-routes which represented major strategic world trading routes. That is why France sought to strengthen their relationship with the Ottoman Empire who controlled the North African regencies,

(*) Email: hanaa.beldjerd@gmail.com

especially the Western Tripoli. During the reign of *Qarmanlī*'s family (1711-1832), the relationship between the Western Tripoli and France were founded on intense diplomatic efforts and quasi-permanent communication between the two countries, particularly during the period of *Yūsuf Qarmanlī Bāšā*. At that time, France played a decisive role in the political situation and economic development of the region and it focused on its diplomatic relations in order to justify and maintain a fleet off the coast of the Western Tripoli. During the reign of *Yūsuf Qarmanlī Bāšā*, many factors had strengthen the relationship between the Western Tripoli and France. First of all, the Western Tripoli was one of the most powerful region in the Mediterranean sea. For France, the Western Tripoli was a gateway for trading activities. Secondly, during *Yūsuf Qarmanlī Bāšā*'s reign, France interested in geographical exploration and discoveries in Africa. Thirdly, France wanted to put an end to maritime piracy and protect the small European countries.

المقدمة

تعتبر ولاية طرابلس من بلدان شمال إفريقيا التي يحيط بها البحر المتوسط من الشمال وتونس من الغرب ومصر من الشرق، أما جنوباً فتحدها الصحراء الكبرى وهي كإقليم تقع بين رأس أجدير وخليج السلوم ومع متصرفية بنغازي، وهما يشكلان معاً رقعة كبيرة تمتد إلى 1800 كلم أما فلكيا فهي تقع بين 33.11° و22.35° من خط العرض الشمالي وبين خطي طول 8.28° و13.40° [(1)].

وتعد طرابلس الغرب من بين أحد أهم بلدان المتوسط وذلك لطول ساحلها الذي يقدر بـ 820 كلم وشواطئه في الغالب صخرية [(2)]، وعلى هذا الساحل بالذات شيدت مدينة طرابلس الغرب [(3)] وأحيطت بسور من الصخر يبلغ محيطه 3728 كلم يطل قسمه الأكبر على البحر

والقسم المتبقي يشرف على البر، وهي مدينة في نسقها العمراني تشبه رقعة الشطرنج، وقد أطلق عليها لقب المدينة البيضاء ولشدة بياضها كانت تشاهد على بعد 45 كلم [4]. ونتيجة لهذا الموقع الاستراتيجي فقد كانت من أهم المراكز البحرية في الفترة الأولى والثانية من الحكم العثماني وشهدت حركة كبيرة بدخول المراكب وخروجها ليلاً ونهاراً [5].

وبهذه المكانة الاستراتيجية، تعتبر طرابلس الغرب ممرا لاغنى عنه للدخول إلى القارة الإفريقية ومعبراً لاستمرار التبادل بين أوروبا وإفريقيا. وبالتالي تحوز ليبيا حالياً على أطول ساحل في البحر الأبيض المتوسط والذي يقدر بـ 1950 كلم وهو مثالي للملاحة البحرية، ويضم هذا الساحل خليج سرت والذي يقرب طرابلس الغرب من أوروبا وإفريقيا ويقوم هذا الساحل برسم حدود طبيعية بين المغرب العربي والمشرق العربي.

وتعتبر بالتالي ليبيا الحديثة دولة حاجزة أي هي دولة واقعة بين قارتين مختلفتين ألا وهما إفريقيا وآسيا، وبالتالي تعد معبراً مثالياً بين أوروبا وإفريقيا والذي هو بمثابة عاملاً مهماً فيما يخص إشكالية الهجرة المتوسطية حالياً. وبالإضافة إلى هذه المعطيات التاريخية والجغرافية والتي تعد مهمة في حياة دولة، ينبغي إضافة بعض التفاصيل ذات طابع اقتصادي، فعكس ما يمكن أن نتصوره أن ليبيا ترتكز في اقتصادها حاليا بصفة أساسية على بيع البترول والغاز، إلا أنها على مر العصور قد أقامت علاقات متميزة مع البلدان الساحلية المطلة على البحر الأبيض المتوسط مثل التبادلات التجارية مع البلدان المغاربية كمصر وتونس.

وعلاوة على هذا، فبالرغم من هذه المكانة الإستراتيجية التاريخية وقرب طرابلس الغرب من البلدان الساحلية في أوروبا وإفريقيا، إلا أن التوجهات السياسية الحديثة لليبيا ومواقفها السياسية على الصعيد الإقليمي والعالمي، لا تولي ليبيا أولوية إلى البحر الأبيض المتوسط. والأمر المثير، لقد بحثت ليبيا خلال الأربعين سنة مضت الابتعاد عن التكتلات الدولية في

البحر الأبيض المتوسط. وفي سنة 1995، لم تنضم ليبيا إلى منظمة التعاون الأورـ المتوسطية (*Le Partenariat euro-méditerranéen*)، وزيادة على هذا الأمر، تسجل ليبيا غياباً دائماً عن الاتحاد من أجل المتوسط ((*L'Union pour la Méditerranée*.

وتقودنا هذه اللمحة الجغرافية لليبيا، التي كان يطلق عليها قديما خلال حكم الإمبراطورية العثمانية بطرابلس الغرب، إلى دراسة إشكالية الأهمية الاستراتيجية للمتوسط الطرابلسي في العلاقة الثنائية بين فرنسا وطرابلس الغرب خلال الحقبة التي تعود إلى الحقبة العثمانية الحديثة ليوسف باشا القرمانلي (1795 . 1832)، الذي أصدر السلطان العثماني فرمان بتوليته واليا على طرابلس الغرب في شعبان 1795 م.

ويمس موضوع مقالنا هذا عدة أسئلة، فنتساءل عن دور يوسف باشا في إرساء ديبلوماسية حديثة مع فرنسا في حوض البحر الأبيض المتوسط. فما هي يا ترى طبيعة العلاقات الفرنسية الطرابلسية على الصعيد المتوسطي؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة، سنتطرق أولاً إلى إبراز لمحة تاريخية لطرابلس الغرب في البحر الأبيض المتوسط ومن ثمة سنبين علاقة يوسف باشا بفرنسا في بحر طرابلس الغرب، وهذا يقودنا إلى إبراز العوامل التي ساهمت في تشكيل في نوع من التقارب بين يوسف باشا والدولة الفرنسية في البحر الأبيض المتوسط. ولهذا سنقوم بإعادة قراءة الدراسات العلمية الموثقة عن المتوسط الطرابلسي خلال فترة حكم يوسف باشا القرمانلي (1795 . 1832)، وسنتبع المنهجية التاريخية في بحثنا المأخوذة من سرد الأحداث التاريخية مع تحليل العلاقات السياسية والإقتصادية والبحث على النتائج فيما يخص أهمية الأحداث.

ونعتمد في دراستنا هذه على منهجين أساسيين هما: أولاً، المنهج التاريخي، ويهتم هذا المنهج بالجانب التاريخي الوصفي الذي يعنى بوصف الأحداث، وثانياً المنهج التحليلي الذي

يركز على دراسة وتحليل النصوص المعتمدة في البحث من المصادر التي كتبت عن فترة يوسف باشا القرمانلي بهدف استنتاج الحقائق التاريخية.

وبالرغم من أهمية مدينة طرابلس الغرب والتي لعبت دوراً مهماً كهمزة وصل بين الأسواق الأوروبية والأسواق الإفريقية، إلا أن الدراسات التي تخص تجارة طرابلس الغرب في هذه الفترة الزمنية شحيحة. ونهدف من هذا البحث إلى توضيح العلاقات الطرابلسية مع فرنسا على الصعيد السياسي والاقتصادي في فترة حكمه الممتدة من 1795 إلى 1832، وكذلك، نسعى إلى تبيان أهمية العلاقات الدبلوماسية القائمة خلال هذه الفترة ونتائجها الإيجابية والسلبية على واقع طرابلس الغرب.

1.لمحة تاريخية عن طرابلس الغرب في البحر الأبيض المتوسط

1.1. مكانة طرابلس الغرب في البحر الأبيض المتوسط

ونتيجة لموقعها الاستراتيجي جعلها قبلة للعديد من الشعوب والحضارات منذ زمن طويل، ربطت طرابلس الغرب علاقة وطيدة ببحرها، ألا وهو البحر الأبيض المتوسط. وجمعت طرابلس الغرب علاقات مع حضارات البحر الأبيض المتوسط كالحضارة الفرعونية في مصر والحضارة الفينيقية منذ القرن الثالث ميلادي، الذين أسسوا مدينة طرابلس الغرب، والتي عرفت آنذاك باسم أويا، كما مر بها الرومان والبيزنطيون والوندال وكذلك الحضارة الإغريقية القديمة في القرن السابع ميلادي. واستقر الرومان بها من القرن الأول إلى القرن الخامس ميلادي. وفي عهد الإمبراطور الليبي الأصل سبتيموس سفيروس أو سيفروس (*Lucius Septimius Severus*) (145 ق. م. - 211 ق. م.)، كانت طرابلس الغرب ممراً آمناً بين المشرق العربي والقارة الإفريقية. ومنذ نهاية القرن السابع ميلادي، بعد دخول الإسلام للمنطقة، وفتحها العرب

المسلمون، وانتشر بذلك الإسلام بهذه البقعة وما حولها، وحافظت طرابلس الغرب بالمجمل على علاقات طيبة مع شعوب منطقة البحر الأبيض المتوسط [6].

وتعرضت طرابلس الغرب بعد ذلك للغزو الإسباني سنة 1550 بعد الهجمات على السواحل الجنوبية للمتوسط. وقد أحكموا السيطرة عليها وشجعوا الهجرة إليها. ولكن حركة المقاومة ودفاع الأهالي لم تسمح للحكم الإسباني بالامتداد خارج أسوارها، مما دفع طلب الملك الإسباني من البابا بالتنازل عنها لفرسان القديس يوحنا سنة 1530، فوقع أهل طرابلس الغرب فريسة مرة أخرى لوحشية الفرسان. واستمرت المقاومة إلى غاية سنة 1551، وهذا تاريخ مجيء العثمانيين وتحرير طرابلس الغرب من فرسان القديس، وبذلك أصبحت طرابلس الغرب تحت حكمهم مباشرة أين أضاف العثمانيون طرابلس الغرب تمييزا لها عن طرابلس لبنان. وظلت تحت حكمهم إلى سنة 1711. وقد أكد فرسان مالطا في القرن السادس عشر مرة أخرى الأهمية الاستراتيجية لطرابلس الغرب في فضاء البحر الأبيض المتوسط.

وبعد سنة 1711، بدأت محطة جديدة في التاريخ السياسي لطرابلس الغرب أين شهدت ظهور أسرة محلية تركية الأصل بعد مئة وستين سنة من حكم الأتراك العثمانيين، يطلق عليها الأسرة القرمانلية. ولقد حكم القرمانلية حكماً مباشراً، ولكن بقى القرمانلية تابعين للباب العالي من الناحية الإسمية. وانتهى حكم الأسرة القرمانلية سنة 1835 والتي حكمت إيالة طرابلس الغرب مدة مئة وأربعة وعشرين سنة. ولقد اتخذت الدول الأوروبية البحر الأبيض المتوسط مركزاً مهما لنشاطها التجاري.

1.2. الأسطول البحري في عهد يوسف باشا القرمانلي

قبل صعود يوسف باشا للحكم، اهتم أحمد القرمانلي ببناء أسطول بحري قوي لضرب سفن الدول الأوروبية وفرض على هذه الدول دفع إتاوات، ووقعت الدول الأوروبية معاهدات مع

طرابلس الغرب نظير عدم تعُّرض سفن أسطوله لسفنهم وتجارتهم [7]. وبعد حكم أحمد باشا، ورث محمد باشا ولاية طرابلس الغرب واقتصر اهتمامه على تأمين حدود ولايته وضمان قوته البحرية واهتم بالأسطول، وسمح لبحارته بمهاجمة السفن البحرية والسواحل الأوروبية مما دفع بالدول الأوروبية إلى عقد معاهدات معه منها فرنسا وانجلترا والنمسا والدنمارك [8].

وعند تولي يوسف باشا لحكم طرابلس الغرب، شرع بتحسين الأوضاع الدفاعية لقواته البحرية فأصبحت تتألف من ثمان سفن أكبرها مزود بأربعة عشر مدفعاً[9]. واستطاع توجيه أنظار الشباب إلى ممارسة الأعمال البحرية و قام بتحصين ميناء طرابلس الغرب بغية تقوية الأسطول البحري، كما قام بتوسيع ميناء طرابلس الغرب وزاد من قوته وانصرف في نفس الوقت لبناء أسطول بحري ضخم يستطيع بواسطته مواجهة تحديات الدول الأوروبية، فقد رأى أن تقوية الأسطول يمثل الأمن للبلاد باعتباره المصدر الأساسي لتطوير الاقتصاد الطرابلسي والدرع الحامي للمدينة من أي اعتداء[10]. وبذلك أصبحت طرابلس الغرب في وقت قصير لا تقل عن مدينة تونس والجزائر [11].

وتعد طرابلس الغرب منذ عهد أحمد باشا أحد الدول المغاربية التي سيطرت على البحر الأبيض المتوسط، وفرضت سلطتها على الدول الأوروبية التي تمر بالبحر الأبيض المتوسط، وهذا بدفع الإتاوات لها مقابل مرور سفنها. واهتم كذلك هذا الباشا أساساً بتطوير الاقتصاد الطرابلسي وتحقيق الأرباح له ولدولته والمحافظة على مجدها على حساب كافة العلاقات[12].

واستمر هذا الوضع في عهد يوسف باشا باعتبار المصدر المالي الأساسي هو الأسطول البحري فضلاً عن الإتاوات المفروضة على سفن الدول التي تمر في البحر الأبيض المتوسط، وفي بداية عهده كانت طرابلس الغرب وأهلها يعيشون في رخاء. وأثر هذا الرخاء على ازدهار التجارة، وأصبحت أكثر تقدماً ورواجاً بفضل الأمن الذي وفره يوسف باشا، فغدت طرابلس الغرب

حينها حلقة اتصال بين مدن إفريقيا الوسطى والمدن الأوروبية عن طريق واد برنو، وبقية مدن السودان عبر فزان وغدامس، مما أعطى للمنطقة المتوسطية أهمية اقتصادية فزادت الصلات التجارية بين مصر وبنغازي ولعل أهم المنتجات التي كانوا ينقلونها من فزان إلى السودان هي المرجان والإبر والحرير والأقمشة، الزجاج الأسود والأزرق، ويحضرون من السودان العبيد ومختلف العطور، وتعتبر تجارة العبيد بالذات الممول الرئيسي لخزينة الدولة.

وبالتالي اعتمد يوسف باشا على البحر الأبيض المتوسط كمصدر أساسي لدخل إيالته، فلقد اتخذ سياسة خارجية صارمة بهدف إخضاع الدول وإجبارها على تنفيذ رغباته. وقد سلك سياسة متميزة وخاصة مع كل دولة أوروبية أو غير أوروبية. ولقد ركز اهتمامه على البحر الأبيض المتوسط، ولم يولي اهتماماً كثيراً بتوسيع الزراعة وتنويعها، وتشجيع التجارة الخارجية وتنشيط الصناعة المحلية وتنظيم الضرائب بعدل.

وما يمكن أن نستخلصه أن العلاقة التي ربطت باشا طرابلس الغرب بالدول الأوروبية، بما ذلك فرنسا أنها كانت مبنية على المصالح، فيوسف باشا رغم أنه حقق الأمن والعدل للرعية إلا أن ملأ الخزينة كان همه الوحيد، فكانت الضرائب الوسيلة الوحيدة لذلك. وفرض إتاوات على كل السفن التي تمر ببلاده عبر المتوسط، ولقد حقق الكثير أين وصل عدد الأموال التي دخلت الخزينة بـ 296000 قرش، غير أن هذه الدول لم تستمر في ذلك بل عملت على التكتل لإيقاف تحرشات قراصنته وجسد ذلك في مؤتمر إكس لاشابيل، ولعل ما يظهر أن مكانة الباشا قد تراجعت هو توقيعه لمعاهدة 1830م مع فرنسا رغم بنودها المذلة كما قامت هذه الدول بإيقاف هذه الدول بإيقاف أهم مورد للخزينة وهو كف المتاجرة بالرقيق [13].

وفي آخر عهد يوسف باشا تراجعت مكانة الأسطول وتدهورت الحالة الاقتصادية للبلاد مما نتج عنه من جهة، تماطل، بل وتوقف الدول الأوروبية الكبرى عن دفع الإتاوة، ومن جهة

أخرى تهرب الرعية عن دفع الضرائب. ولقد حاول الباشا إيجاد حل لهذه الأزمة، فقام بالعديد من الإجراءات من بينها : تحول إلى الاستدانة من الخارج بشروط مجحفة، وبدأ باحتكار تجارة الحبوب واضطر في كثير من الأحيان لبيع المحاصيل لتسديد ما عليه من ديون.

وفرض يوسف باشا الضرائب الاستثنائية على الرعية لتسديد ديونه الخارجية التي بلغت أوائل سنة 1832 ثلاث مئة ألف دولار. لكن زادت هذه الإجراءات من تفاقم الأزمة المالية، وندد قناصل الدول الأوروبية في مراسلاتهم للباشا لما سببه من عرقلة للتجارة ككل. وحينما عجز يوسف القرمانلي عن الخروج من هذه الأزمة خاصة بعد ضغوطات قناصل الدول الأوروبية، ونخص بالذكر فرنسا وانجلترا اللتين أصبحتا تهددان بأساطيلهما لاستخلاص ديون رعاياهم. ونتج عن تذمر الرعية، دخول البلاد في فوضى ودفع أكثرية الأهالي للثورة عليه، وذلك في 20 جويلية 1832 وبايعوا حفيده أبا عبد الله محمد بك حاكماً عليهم.

2.علاقة يوسف باشا بالدولة الفرنسية

في بداية الأمر، كانت العلاقات بين فرنسا وطرابلس الغرب غير مباشرة، إنما كانت تبرم فرنسا اتفاقيات مع الباب العالي. وكان لفرنسا مصالح متعددة في المشرق العربي وفي شمال إفريقيا (البربرية «*La Barbarie* » كما تسمى باللغة الفرنسية)، و يمكن تحديد هذه المصالح بالمصالح الاقتصادية التي أوجبت على فرنسا إقامة علاقات مع هذه البلدان، وخاصة طرابلس الغرب. وسعت فرنسا إلى الحصول على مزايا اقتصادية خاصة ليس فقط في إسطنبول، ولكن في كل الأساطيل التابعة للسلطان العثماني.

2.1. سعي فرنسا لتوطيد علاقتها مع يوسف باشا

ومن الواضح أنه بين سنة 1795 وسنة 1832، ربطت فرنسا وطرابلس الغرب علاقات سياسية واقتصادية التي تأسست بدورها على قاعدة كانت متواجدة من قبل تسلم يوسف باشا

للولاية. وترجع بداية هذه العلاقات إلى الفترة الأولى للحكم العثماني أين أنشأت فرنسا أول قنصلية لها في طرابلس الغرب والتي حافظت طرابلس الغرب على تواجدها الدبلوماسي إلى يومنا هذا.

و بفضل توقيع معاهدة سنة 1729، لقد أرسى أحمد باشا أول حاكم في السلالة الحاكمة القرمانلية، أسس وهيكلة الدبلوماسية الحديثة بين فرنسا وإيالة طرابلس الغرب. ولقد استندت كل المعاهدات اللاحقة على معاهدة 1729 باعتبارها نموذج أول للعلاقات الثنائية. ولقد أبدى محمد باشا وابنه علي باشا ميولاً وتفضيلاً مستمراً للعلاقات المتميزة مع فرنسا باعتبارها إرثاً عائلياً يجب المحافظة عليها. ويجب الإشارة إلى أن العلاقات التي تربط فرنسا وطرابلس الغرب كانت كاملة وشاملة وهذا ما عكسه الواقع المتمثل في إنشاء قنصليات وممثلين وإرسال بعثات وتوقيع المعاهدات وتجديد هذه المعاهدات إذا اقتضى الأمر ذلك.

وعلى ممر فترة حكم القرمانلية، لقد لعب القنصل دوراً بارزاً في الإيالة، فقد كان يمثل بلاده لدى حكومة طرابلس الغرب، ويحمي مصالح فرنسا والرعايا الفرنسيين الذين يقيمون في الإيالة، وعلاوة على هذا يقوم بتقديم النصائح إلى حكومته من خلال التدابير والخطوات التي يجب اتخاذها حيال باشوات طرابلس الغرب، مع إلمامه بكل المعلومات التي تمس بالإيالة. ولقد استوعبت فرنسا أهمية القنصل في تمتين العلاقات مع طرابلس الغرب، فقامت بتعيين ممثلين عنها في المناطق الأخرى للإيالة مما ساعدها في تطوير التجارة في طرابلس الغرب.

وبالتالي عبّر القناصل الفرنسيين عن أهمية طرابلس من الناحية الاقتصادية، وبالرغم من إرساء العلاقات التجارية بين فرنسا وطرابلس الغرب منذ فترة حكم الإمبراطورية العثمانية إلا انه لم توجد في هذه الفترة مؤسسات تجارية لأنها كانت تولي أولوية لتجارتها مع تونس والجزائر. وبسبب مصالحها، كانت من بين أولى البلدان الذين وقعوا معاهدات سياسية واقتصادية مع

الإمبراطورية العثمانية، وهذا ما ساعدها على الحصول على امتيازات في جميع الموانئ التابعة إلى هذه الإمبراطورية، ولاسيما في طرابلس الغرب. ولكن بفضل جهود بعض القناصل الفرنسيين مثل القنصل فاليلر « *Consul Vallière* »، استطاعت فرنسا أن تنشأ أول مؤسسة تجارية فرنسية في طرابلس الغرب.

2.2.استمرارية العلاقات الجيدة بين فرنسا وطرابلس الغرب في فترة يوسف باشا القرمانلي

وبفضل النشاط الدبلوماسي الفرنسي، لم تتغير العلاقات السياسية والاقتصادية التي تربط البلدين بفعل التغيرات السياسية والتأثير الإنجليزي، بل يمكن ان نقول أنها عرفت تطوراً مستمراً وقويت العلاقات بين البلدين خاصة بعد وصول يوسف باشا إلى سدة الحكم، وبالرغم من بعض الأحداث أو بعض التوترات المتعلقة بالقرصنة والعدوان لبعض الدول الأوروبية تحت الحماية الفرنسية، لكن كان دائماً هناك رغبة الطرفين في إيجاد جسر من التفاهم.

وكما ذكرنا سابقا، لقد سعت فرنسا إلى إرساء علاقات مع السلطان العثماني ومن ثم مع الحكام في طرابلس الغرب وبلدان أخرى في البحر الأبيض المتوسط، ولكن في عهد يوسف باشا كان التعامل معه مباشرة، دون الرجوع إلى السلطان العثماني باعتباره الحاكم الفعلي لإيالة طرابلس الغرب بصفة شبه مستقلة عن السلطان وهذا ما طبع على العلاقات الفرنسية والطرابلسية صيغة مميزة ومتميزة حسب ما أكدته توقيع المعاهدتين مع فرنسا في سنة 1801 وسنة 1830 بدون تدخل السلطان في بنود هاتين المعاهدتين، فالتبعية إلى السلطان العثماني كانت إسمية. وحافظت فرنسا على تقوية الجهاز الدبلوماسي في بحر طرابلس الغرب ليس فقط للحصول على مزايا تخص تجارتها، ولكن بغية حماية تجارتها من هجمات القراصنة في شمال إفريقيا، ولنذكر على سبيل المثال لقد أدى هجوم ميناء طرابلس الغرب على الأسطول الحربي الفرنسي إلى توقيع معاهدة سلم سنة 1729، وقد احترم يوسف باشا هذه المعاهدة إلى غاية 1832.

وحرص يوسف باشا على التزام بالحصول على فرمان تولية السلطان العثماني. وأظهرت رسائل يوسف باشا وابنه علي باشا إلى إبقاء التواصل بغية كسب تأييد الشعب لهم. وبعد أن ثبت حكمه عمل على تجاهل السلطان العثماني، ولم يهتم لأوامره القاضية بعدم تصرفه بالحكم لوحده مثل حكام الجزائر وتونس، ولعل أهم الأوامر التي تجاهلها هي كالتالي: في سنة 1797 تجاهل أمر السلطان القاضي بعدم إعلان الحرب وتوقيع المعاهدات مع الدول الأوروبية إلا بعلمه، فقام بعدم تجديد معاهدة طرابلس بالدنمارك، وقام بإنزال العلم الدنماركي معلنا قطع علاقاته معها بعد رفضها دفع الإتاوة سنويا[14] ومواصلة مهاجمة جميع السفن التي تمر على البحر المتوسط وعدم إطلاقها إلا بدفع ما عليها من إتاوات، وعندما حذره السلطان بالتوقف على ذلك بعد الشكوى المقدمة للسلطان من تلك الدول، قام بدعوة قناصلهم وهددهم بمهاجمة سفنهم ما داموا لا يدفعون فرضخوا له لما رأوا جديته[15].

ومن هنا نؤكد أنه قد ارتبطت فرنسا بعلاقة جيدة مع طرابلس الغرب باعتبارها دولة ذات سيادة ومستقلة عن الباب العالي. وبهذا اعتبرت يوسف باشا الحاكم الشرعي له سيادة على طرابلس الغرب، فكانت تتعامل معه مباشرة. وأعطت فرنسا أولوية خاصة لهذه الإيالة، فيا ترى ما هي العوامل التي ساهمت في قرب فرنسا من طرابلس الغرب في البحر الأبيض المتوسط ؟

ومنذ تولي يوسف باشا الحكم على طرابلس الغرب سعت فرنسا لتقوية العلاقات معه وكان موقفها إيجابيا اتجاهه. ولقد هنأته عند تسلمه مفاتيح الحكم، وقدمت له الهدايا كما كان العرف الدبلوماسي سائداً بين البلدين. ويعتبر هذا الموقف غير غريب عن الحكومة الفرنسية في هذه الحقبة وهذا دليل على أن إرادة فرنسا تدعو إلى استمرارية العلاقة الخاصة والمميزة بين البلدين، وبالتالي تحترم تقاليد أسرة القرمانلي. وعلاوة على هذا، كانت فرنسا تريد حماية

مصالحها في منطقة البحر الأبيض المتوسط، وهذا بالتمكن من تكوين صداقة مع يوسف باشا بهدف الحصول على مزايا خاصة في طرابلس الغرب.

3. عوامل تقارب فرنسا وطرابلس الغرب في البحر الأبيض المتوسط

يعتبر البحر الأبيض المتوسط لطرابلس الغرب مساحة مائية كبيرة تتوسط قارتين هما إفريقيا وأوروبا، وهنا تظهر بوضوح الأهمية الجيواستراتيجية للمكان، فبحر الأبيض المتوسط في طرابلس الغرب يتوسط قارتين ألا وهما إفريقيا وأوروبا. وقد برزت أهمية طرابلس الغرب في مجال البحوث الجغرافية والذي بدأ الجزء الأول منها في عهد يوسف باشا، فمع الاكتشافات الجغرافية، أصبحت طرابلس الغرب بوابة الصحراء وقبلة العلماء المكتشفين، وهذا ما ساهم في زعزعة وحدوث توتر بين فرنسا وانجلترا.

3.1.الإكتشافات الجغرافية في إفريقيا

تميز القرن التاسع عشر بعامل مهم ألقى الضوء على طرابلس الغرب لدى الأوربيين ألا وهو الاكتشافات الجغرافية لإفريقيا. والحقيقة أننا لو ألقينا نظرة على خريطة إفريقيا عام 1815، أي في مطلع القرن التاسع عشر، نلاحظ بأننا نكاد نلمس آثار أقدام الأوروبيين في المناطق الساحلية من القارة، فالفرنسيون كانت لهم السنغال ورينيون في المحيط الهندي ، وبعض المحلات التجارية في مدغشقر، والبريطانيون كانت لهم سيطرة على ساحل الذهب، وغينيا وبعض أجزاء من سيراليون ، ثم منطقة الكاب في الجنوب، وسانت هيلانه.

وهكذا نلاحظ أنه حتى مطلع القرن التاسع عشر لم تكن لدول أوروبا سيطرة إلا على أجزاء صغيرة من أطراف القارة. ولكن الدول الأوروبية انتقلت من مرحلة ما يمكن أن نسميها المرحلة الجزرية أو الساحلية من الاستعمار إلى مرحلة التوغل داخل القارة. ووصل الأمر في نهاية القرن التاسع عشر إلى درجة من النهم الاستعماري. وبعد أن استكملت المعلومات

الضرورية عن أفريقيا الساحلية والداخلية، وكشف جغرافية وتاريخ وسكان واقتصاديات هذه المناطق خاصة الإفريقية، وبعد ارتياد المكتشفون والرحالة والتجار الكثير من المناطق الأفريقية، بدأت موجة الاستعمار تشتد وأخذت المناطق الأفريقية تسقط بسرعة مذهلة في النصف الثاني من القرن 19 في قبضة الدول الأوروبية.

وبالإضافة تحتل الأسئلة الاقتصادية مكانة كبيرة لما لها من تأثير حاسم في اتخاذ القرارات السياسية. وفي بعض المذكرات الخاصة بالتجارة، نرى أن القناصل حاولوا بيان الأهمية الاقتصادية والتجارية لطرابلس الغرب. أما بالنسبة للدول الأوروبية وغيرها فقد استطاع يوسف باشا، إثبات هيبة طرابلس الغرب أمامها وتم فتح عدة قنصليات ببلاده لتلك الدول، فأمر كل دولة بإحضار الهدايا وأوراق اعتماد سفرائها لديه.

3.2.الأهمية الاقتصادية للبحر الأبيض المتوسط في طرابلس الغرب

للمنطقة المتوسطية أهمية جغرافية واستراتيجية، مما أعطى لها دور حيوي ومركزي في السياسة الفرنسية. الطرابلسية في عهد يوسف باشا. ويشكل البحر المتوسط واقع جغرافي وسياسي في آن واحد، وتمثل بذلك منطقة البحر المتوسط رهانا استراتيجيا مهماً بالنسبة لفرنسا بحكم ميزاتها البحرية الهامة وموقعها الفريد من نوعه في نقطة تقاطع قارتين هما إفريقيا وأوروبا.

و من العوامل التي ساهمت في إنشاء نوع من التقارب بين البلدين نلاحظ أن التبادلات التجارية في البحر الأبيض المتوسط هي العامل الأول في القائمة، لكن دون أن ننسى أن فرنسا كانت تتعامل بنسبة أعلى مع تونس مقارنة مع طرابلس الغرب، وكان لطرابلس الغرب تبادلات تجارية نشيطة مع مالطا وليفورنو. ويجب التنويه أن فرنسا لم تولي في بداية الأمر أهمية للجانب الاقتصادي لطرابلس الغرب، وإنما برز الدور الاستراتيجي في البحر الأبيض المتوسط، وخصوصا خلال حملة نابليون على مصر. ولقد أبرز هذا الحدث الأهمية الاستراتيجية لطرابلس

الغرب لربط شمال وجنوب البحر الأبيض المتوسط. وهذا ما تنبه إليه بونابرت فيما يخص الموقع المميز وبمساعدة من يوسف باشا لفرنسا خلال حملته على مصر سنة 1789، أين ميناء درنة كان منفذا لتلقي الإمدادات[16].

وخلال هذه الحقبة من حكم القرمانلية في أواسط القرن السادس عشر، أصبحت طرابلس الغرب، وبالتحديد الجهة الغربية المطلة على البحر الأبيض المتوسط، عنصر جيوسياسي لا غنى عنه. وعززت الأسرة القرمانلية من دورها كرابط حيوي وكداعم أساسي في التبادلات التجارية في منطقة البحر الأبيض المتوسط، ثم عززت القوى الاستعمارية في القرن العشرين ميلادي هذه المكانة. وأملت التوجهات السياسية الحديثة على البلدان الاستعمارية أمثال فرنسا وانجلترا وإيطاليا باتخاذ طرابلس الغرب الركن السياسي لمشروعهم الاستعماري. ويمكن التطرق هنا إلى الأهمية الإقتصادية لموانئ طرابلس الغرب بالنسبة لأوروبا كمدخل لإفريقيا خلال القرن 18. وشهدت البلدان الاستعمارية ثورة فلاحية وأخرى صناعية أثرت بشكل عميق في المجتمع الأوربي، مما أدى إلى قيام الثورة الصناعية التي هي سلسلة من التغيرات الأساسية في طرق الصناعة التي عرفتها أوربا ما بين 1760 و 1800، ودفعت الثورة الصناعية إلى بحث الدول الأوروبية مثل فرنسا وانجلترا عن المستعمرات وجلب المواد الأولية وأسواق جديدة لترويج المنتوجات الصناعية. و في بعض المذكرات الخاصة بالتجارة، نرى أن القناصل حاولوا بيان الأهمية الاقتصادية والتجارية لطرابلس الغرب.

واعتمدت فرنسا كثيراً على طرق الملاحة البحرية في المرور ونقل البضائع، إذ أصبحت طرابلس الغرب لها أهمية بالغة في التجارة البحرية وارتكزت في بنيتها الاقتصادية على التصدير، حيث أصبح بحر طرابلس الغرب هو ساحة المعركة المفتوحة التي تتصارع بها المصالح الاقتصادية والتجارية بين فرنسا وإنجلترا[17].

وإن للبحر الأبيض المتوسط أهمية اقتصادية كبيرة فهو مفترق الطرق بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب، فهو قبل كل شيء منطقة عبور بحرية للتجارة العالمية، وأدى نمو الثورة الصناعية إلى تطور الآلات والأدوات العسكرية مما سهل في ظهور البواخر والقوارب المحملة بالمدافع، والتي أصبحت قادرة على السير في الأنهار عكس التيار مما ساعد الدول الاوروبية على التخلص من مشكلة صعوبة الابحار.

ويمكن أن نجمل العوامل التي دفعت فرنسا وانجلترا للتسابق على إفريقيا مرورا بسواحل طرابلس الغرب هو قيام الثورة الصناعية في أوروبا الذي نتج عنه السعي الحثيث لإيجاد أسواق جديدة للتصريف، بالإضافة إلى أنه أوجدت الثورة الصناعية الحاجة الماسة إلى المواد الخام، ووجدت الدول الصناعية في القارة الأفريقية مجالاً طيباً للنشاط، حيث تتوفر المواد الخام الزراعية، والمعدنية، والسكانية، بالإضافة إلى السوق الواسعة لتصريف منتجاتها.

ومن جهة المتوسط الطرابلسي ذو أهمية اقتصادية إذ أنه الممر السهل لجميع الطرق البحرية، ومن جهة أخرى تلعب الموانئ دورا رئيسيا في نظام النقل المتوسطي بين البر والبحر. ومن هذا يظهر أن الاهتمام الفرنسي بالمنطقة المتوسطية لطرابلس الغرب ويؤكد على الصراع والحروب بين مراكز القوى الإقليمية والدولية. ويبين التفكير الاستراتيجي على أنه من يسيطر على حوض المتوسط يسيطر على حركة الملاحة فيه وعليه يتحكم في سياسة و اقتصاد الدول الأخرى.

وتوجد في البحر الأبيض المتوسط مناطق ذات أهمية استراتيجية تسهل من عملية المراقبة أو الهجوم وتيسير كذلك من عمليه الانتقال والاتصال، إلا أن هاته المكانة زادت من تعقيدات الحالة الأمنية التي يتعرض لها البحر الأبيض المتوسط في طرابلس الغرب، وهذا ما

يقودنا إلى طرح عامل القرصنة الذي ساعد في إنشاء تقارب في البحر الأبيض المتوسط بين فرنسا وطرابلس الغرب في عهد يوسف باشا.

3.3.القرصنة في البحر الأبيض المتوسط في عهد يوسف باشا

ومن الجدير ذكر هنا أنه تعتبر القرصنة في البحر الأبيض المتوسط السبب الرئيسي في الخلافات بين فرنسا وطرابلس الغرب، ولتسوية و معالجة الصراع البحري القائم في البحر الأبيض المتوسط كانت تحاول فرنسا في مرات عديدة تجنب الدخول في مواجهة عسكرية، وإرضاء مطالب طرابلس الغرب وجيرانها حتى قبل وصول يوسف باشا للحكم سنة 1795.

ومن الأسباب التي ساهمت في التقارب بين فرنسا وطرابلس الغرب هو رغبة فرنسا في تقوية اقتصادها ودعم تأثيرها في أوروبا ، وهذا بحماية مصالح الكرسي البابوي و مصالح المسحيين في طرابلس الغرب. وهذا ما أكده تمثيلها البلدان الأوروبية الصغيرة مثل الدنمارك والسويد لدى يوسف باشا، وباتخاذها لهذه المهمة، نجحت فرنسا في إنهاء خطر القرصنة في بحر طرابلس الغرب.

وبالرغم من التسابق بين فرنسا وانجلترا في بحر طرابلس الغرب إلا أن الحضور الفرنسي كان قوياً في طرابلس الغرب في مختلف المجالات ومن بينه مجال الأمن البحري. وهذا ما يعكسه الدور الجوهري الذي لعبته فرنسا في إرساء تكافئ في العلاقات الثنائية. وتواصلت العلاقة بين البلدين أين دخلت فرنسا كوسيط للصلح بين السويد وطرابلس الغرب بواسطة مندوب نابليون سيباست ياني، كما دخلت فرنسا كوسيط بين طرابلس الغرب والولايات المتحدة الأمريكية[18].

وفي القرن الثامن عشر، ارتفعت في طرابلس الغرب التهديدات البحرية على نطاق واسع مما استدعى ذلك الانتباه من أجل الحفاظ على المصالح التجارية التي تتعرض للخطر والتهديد

بفعل ما يسمى بالقرصنة البحرية. وتعرف القرصنة في هذه الفترة تعطل حركة الملاحة البحرية والتجار، مما يترتب على ذلك تكلفة بشرية وتجارية واقتصادية باهظة. وشكلت ظاهرة القرصنة البحرية تحدياً أمنياً وتهديداً اقتصادياً على فرنسا، خصوصا أن القرصنة تحولت إلى اقتصاد مستقل بذاته في طرابلس الغرب. وفي فترة يوسف باشا، نافست طرابلس الغرب جيرانها بكل شرف في مجال القرصنة وحافظ حاكمها على مكانتها أمام رعيته وبحث هؤلاء على الاستقرار والأمن داخل دولته.

وتعد مسألة القرصنة مهمة في تاريخ طرابلس الغرب، فخلال الحقبة العثمانية الحديثة ليوسف باشا القرمانلي (1795 . 1832)، كان الصراع البحري القائم في حوض المتوسط. ونجد من جهة ممارسة طرابلس الغرب وجيرانها المغاربة ما يسمى بالقرصنة على كل السفن التي تدخل البحر الأبيض المتوسط. وفي الجهة المقابلة نجد تعرض سفن الدول الأوروبية، خاصة فرنسا وإنجلترا، للقرصنة بغية إرضاء مطالب طرابلس الغرب وجيرانها، وفي مرات أخرى الدخول معها ومع غيرها في مواجهة عسكرية.

ويعود تاريخ القرصنة البحرية إلى أكثر من 3000 عام قبل الميلاد من حيث وجود الجريمة، أما التسمية فتشير الوثائق إلى استخدام المؤرخ الروماني بوليبيس اسم القرصنة لأول مرة منذ حوالي 140 سنة قبل الميلاد[19]. واستمرت أعمال القرصنة بعد الميلاد وانتشرت في البحر الأبيض المتوسط رغم استمرار الحملات الرومانية في محاربة القراصنة، في هذه الفترة وجد المؤرخ الروماني بلوتارش أول تعريف للقرصنة البحرية في عام 100 وصف القراصنة بأنهم أولائك الذين يهاجمون دون وضع قانوني ليس فقط السفن ولكن أيضا المدن البحرية[20].

وظهرت القرصنة في البحر الأبيض المتوسط نظراً للموقع الذي يتمتع به، وكان يطلق عليهم تسمية لصوص البحر[21]. و خلال القرن الثامن عشر، كان البحر الأبيض المتوسط محل

تنافس القوى الاستعمارية فرنسا وإنجلترا، ولقد اشتد الصراع بينهما، فكلا الدولتين تريد أن تفرض سيطرتها على البحر الأبيض المتوسط ، وانطلاقاً من هذا الأمر، وطدت فرنسا علاقاتها بولايات الدولة العثمانية المطلة على البحر الأبيض المتوسط ومنها موضوع دراستنا إيالة طرابلس الغرب التي حظيت بهذا الاهتمام.

ووجب تحديد هنا مفهوم القرصنة التي مارسها العثمانيون في طرابلس الغرب، ولقد انتشرت أعمال القرصنة في البحر الأبيض المتوسط رغم استمرار الحملات الأوروبية وعلى رأسها فرنسا وإنجلترا في محاربة القراصنة في شمال إفريقيا. في فترة حكم يوسف باشا، وصف القراصنة بأنهم أولئك الذين يهاجمون دون وضع قانوني ليس فقط السفن ولكن أيضاً المدن البحرية. لكن يتمثل هذا النشاط الذي كان يقوم به الرياس الطرابلسيين والعثمانيين الذين أطلق عليهم الإسبان والفرنسيين اسم « القراصنة » هو بمثابة انتهاكات ضد العالم المسيحي الذي تمثله أوروبا حاليا.

ويصف التاريخ الإسلامي هذا النشاط البحري بمصطلح « الجهاد البحري » الذي مارسه الرياس العثمانيين وجنودهم بغية حماية أسطول طرابلس الغرب التي كانت تعاني من محاولات احتلال الدول الغربية. فنشاط البحارة الطرابلسيون في ظل الحكم العثماني لم يكن قرصنة وإنما نشاط ذو طابع قانوني يهدف إلى حماية المياه البحرية والأهالي والإيالة من الغزو الخارجي. وفي هذا التاريخ الإسلامي، ارتبط نشاط القراصنة الأوروبيين بالاستعمار الذي يهدف إلى السلب والنهب، وبالتالي تهدف القرصنة الأوروبية إلى الاستيلاء على خيرات شمال إفريقيا.

و ينبغي التنويه أنه في العصر الحديث لا يوجد تعريف دقيق لمصطلح القرصنة البحرية، إذ لم تضع اتفاقية جنيف لأعالي البحار لعام 1958 ولا اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار لعام 1982 تعريف للقرصنة البحرية، وغيبت هاتين الاتفاقيتين العقوبات المقررة لمرتكبي

هذه الجريمة، وغياب نصوص بشأن التزامات الدول فيما يتعلق بمقتضيات التعاون الدولي لتسهيل ملاحقة ومعاقبة مرتكبي هذه الجريمة.

الخاتمة

للإجابة على إشكالية الأهمية الاستراتيجية للمتوسط الطرابلسي في العلاقة الثنائية بين فرنسا وطرابلس الغرب خلال الحقبة التي تعود إلى الحقبة العثمانية الحديثة ليوسف باشا القرمانلي (1795 – 1832)، يمكن أن نختم القول أنه واصل يوسف باشا من تعزيز الأهمية الجيوسياسية للبحر الأيض المتوسط الذي أدركه العثمانيين منذ تحريرهم لطرابلس الغرب من الغزو الإسباني. وزاد من أهمية طرابلس الغرب بحكم البحر الأبيض المتوسط لطرابلس الغرب الذي يتوسط القارتين التي تشمل القارات إفريقيا وأوروبا. ومن هنا لقد بدى واضحا أنه من يسيطر على البحر الأبيض المتوسط يسيطر على العالمين الإفريقي والأوربي. وامتازت العلاقات الفرنسية والطرابلسية تقريبا طيلة فترة حكم يوسف باشا بالتفاهم والتعاون بصفة عامة، وهذا بفضل نشاط الحياة الدبلوماسية بين فرنسا وطرابلس الغرب وتتابع وصول الموفدين السياسيين والحربيين عليها بغية التفاوض أو التهديد. وفي بداية حكمه، استطاع يوسف باشا خلق توازن في العلاقات مع فرنسا التي كانت تتخذ البحر المتوسط مجالا لنشاطها البحري وامتلأت خزائن طرابلس الغرب، لكن في أواخر عهده، بدأت هذه الأموال في تناقص بسبب الأزمة المالية ولم تعد الخزينة ممتلئة مثل قبل. ووضحنا في هذا المقال أن من بين العوامل التي متنت العلاقات الفرنسية الطرابلسية في البحر الأبيض المتوسط ثلاث عوامل أساسية وهي كالآتي : الاكتشافات الجغرافية في إفريقيا والدور الاقتصادي لمتوسط طرابلس الغرب، وخاصة بعد بداية الثورة الصناعية في أوروبا أين برزت الأهمية الجيوسياسية للبحر الأيض المتوسط كهمزة وصل بين أوروبا و إفريقيا و العامل الأخير ألا وهو الحفاظ على السفن الأوروبية من القرصنة البحرية.

هوامش البحث:

2. ناجي محمود، *تاريخ طرابلس الغرب*، ترجمة عبد السلام أدهم ومحمد الأسطي، منشورات الجامعة الليبية بن غازي، ليبيا، 1970، ص 13.
3. الأنصاري أحمد بك، *المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب*، جزء1، دار الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1899، ص 9.
4. البكري، أبو عبيد، *المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب (المسالك والممالك)*، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، 2018، ص8.
5. بن أحمد التيجاني عبد الله بن محمد، *رحلة التيجاني*، الدار العربية للكتاب، ليبيا وتونس، 1981، ص 237.
6. بن حوقل أبو القاسم، *المسالك والممالك*، داربريل، لندن، بريطانيا، 1873م، ص 46.
7. Zidan Mubarak Mohammed, *La Libye a-t-elle vraiment tourné le dos à la méditerranée ?, Confluences Méditerranée* L'Harmattan N° 74, pp. 3/ 2010 97-107,
8. الزيدي مفيد، *موسوعة التاريخ الإسلامي « العصر العثماني »*، دار أسامة، الأردن، عمان، 2009، ص 149.
9. الجمل شوقي، عطاء الله، *المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى)*،المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر، 1997، ص 131.
10. روسي إيتوي، *ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911م*، ترجمة خليفة محمد التليسي، ط1، الدار العربية، ليبيا، ص 374.
11. الجمل شوقي، عطاء الله، المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى)،المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر، 1997، ص 137.
12. التليسي محمد خليفة، *حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب*، ط3، الدار العربية، ليبيا، 1997، ص 146.

13. فوزية متزود، *رسالة دكتوراة العلاقات الفرنسية . الطرابلسية في فترة يوسف باشا بين سنة 1795 وسنة 1832*، جامعة اوغليون، فرنسا، 2013.
14. نفس المرجع.
15. علي بن إسماعيل عمر، *انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا (1795 . 1836)*، ط1، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1966م، ص 85.
16. فارس محمد خير، علي عامر محمود، *تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى، ليبيا)*، جامعة دمشق، سوريا، 2003، ص 148 . 149.
17. Farnçois Charles-Roux, *Bonaparte et la Tripolitaine, Société d'éditions géographiques, maritimes et coloniales*, Paris, France, 1929
18. الخباط عبد الله خليفة، *العلاقات السياسية بين إيالة طرابلس الغرب وانجلترا 1795 1832م*، الدار الليبية للنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، 1974.
19. شارل فيرو، *الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي*، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي، جامعة قاز يونس، بنغازي، ليبيا، 1988، ص 384 . 385.
20. خليل إبراهيم، الجبوري ابرهيم، *القرصنة البحرية في الساحل الصومالي وباب المندب*، دار شتات للنشر البرمجيات، مصر، 2011، ص 25
21. ويشير أيضا كرزستوف و يلزينسكي إلى وجود وثائق تاريخية قديمة مخطوطة على لوح من الطين إلى عام 1350 قبل الميلاد منذ عهد الفرعون أخناتون تدل على وجود أعمال القرصنة في البحر الأبيض المتوسط وشمال إفريقيا، حيث أنه ابتداءا من القرن الخامس قبل الميلاد فرضت أثينا سيطرتها على العالم الإغريقي وتسلمت مهمة مكافحة القرصنة التي بلغت ذروتها وازدهرت في البحر الأبيض المتوسط، لذلك خصصت أثينا أسطولا مؤلفا من 60 سفينة، غير أن الجريمة عادت عندما تفككت هذه الإمبراطورية في القرن الرابع قبل الميلاد.
22. خليل إبراهيم، الجبوري ابراهيم، القرصنة البحرية في الساحل الصومالي وباب المندب، دار شتات للنشر البرمجيات، مصر، 2011، ص27.